غزوة بني قَينُقَاع

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادع يهودها على ألاَّ يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دهمه بها عدو بادروا إلى نصرته وأعانوه عليه، وحين علمت يهود بما صنعه المسلمون ببدر، واطلعوا على الخسائر الفادحة التي نزلت بقريش حسدوه على ذلك، وقالوا: إن «محمداً» لم يلق مَن يحسن القتال، ولو لقينا لوجد قتالاً لا يعرف مثله أحد، وأبدوا نقضاً لما عاهدوه عليه، فأرسل إليهم أن يلقوه في سوق بني قينقاع، ثم قال حين لقيهم: (يا معشر اليهود! احذروا من الله ﷻ مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم، وفي عهد الله إليكم)، قالوا: يا محمد! إنك ترى أنا كقومك! لا يَغُرَّنَّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله! لئن حاربتنا لتعلمَنَّ أنا نحن الناس، وكان بنو قينقاع أول يهود ينقضون عهدهم مع رسول الله ﷺ، وحاربوا بين (بدر) و(أُحُد). وكان غزو رسول الله ﷺ لهم في شهر شوال من الستة الثانية للهجرة. وجاء «جبريل» عليه السلام رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فسار إليهم رسول الله ﷺ بها، ثم حاصرهم خمس عشرة ليلة لا يظهر منهم أحد، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فجاءه رأس المنافقين «عبد الله بن أبي ابن سَلُول» حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد! أحسن في مَوَالِيَّ - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي ﷺ، فقال: يا محمد! أحسن في مواليَّ - فأعرض عنه النبي ﷺ فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى تلوَّن وجهه

الشريف، ثم قال: (ويحك، أرسلني!) قال: لا، والله! لا أرسلك حتى تحسن إلى مواليَّ، وكانوا أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر، تحصدهم في غداة واحدة! وإني، والله! لا آمن، وأخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: (هم لك).

وذكر عاصم بن عمر بن قتادة أن النبي ﷺ قال: (خذوهم لعنهم الله ولعنه معهم!)، فأرسلوهم، ثم أمر بإجلائهم، وغنَّم الله تعالى رسوله ﷺ والمسلمين ما كان لهم من مال ـ ولم تكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم، وأمر «عبادة بن الصامت» بإخراجهم، فسار بهم حتى وصلوا (ذِباب)، وهو يقول: الشرف الأبعد، الأقصى فالأقصى.

وكان «حمزة بن عبد المطلب» صاحب لوائه الأبيض، ثم وزع الغنائم، فأخذ لنفسه الخمس، وفَضَّ الأربعة الأخماس على أصحابه، وكان ذلك أول خمس خَمسه النبي ﷺ في الإسلام، وأول خمس قبضه، ثم جاء المدينة، وحضر (الأضحى). فخرج بأصحابه إلى المصلَّى فصلى بهم، وكانت تلك أول صلاة عيد صلاها في المدينة بالمصلَّى، ثم ذبح بالمصلى شاتين بيده الشريفة وقيل: شاة، وكذلك ذبح أهل اليُسْر من أصحابه.

وقال ابن هشام[1]: وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب، قدمت بجَلَب[2] لها، فباعته بسوق قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب

(١) انظر السيرة (٣/٥٤).
(٢) الجَلَب: ما يجلب للسوق ليباع.

المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، وروي عن «عبادة بن الصامت» وهو أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، قال:

لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تَشَبَّثَ بأمرهم «عبد الله بن أبي ابن سلول»، وقام دونهم، قال: ومشى «عبادة بن الصامت» إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من «عبد الله بن أبي» فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله! أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي «عبد الله بن أبيٍّ» نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢] أي: لعبد الله بن أبيٍّ، وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣] ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ومن عجب! أن يثق الناس بل المسلمون منهم في هذا الزمان باليهود الذين خانوا الله، وقتلوا أنبياءه، ونقضوا عهودهم مع رسله، فهل فيهم ذرة من خير بعد كل هذا الذي صنعوه؟ وأي قيمة لما يعطونه من المواثيق؟